

سلطنة عمان
وزارة التراث القومي والثقافة
سلسلة الدراسات

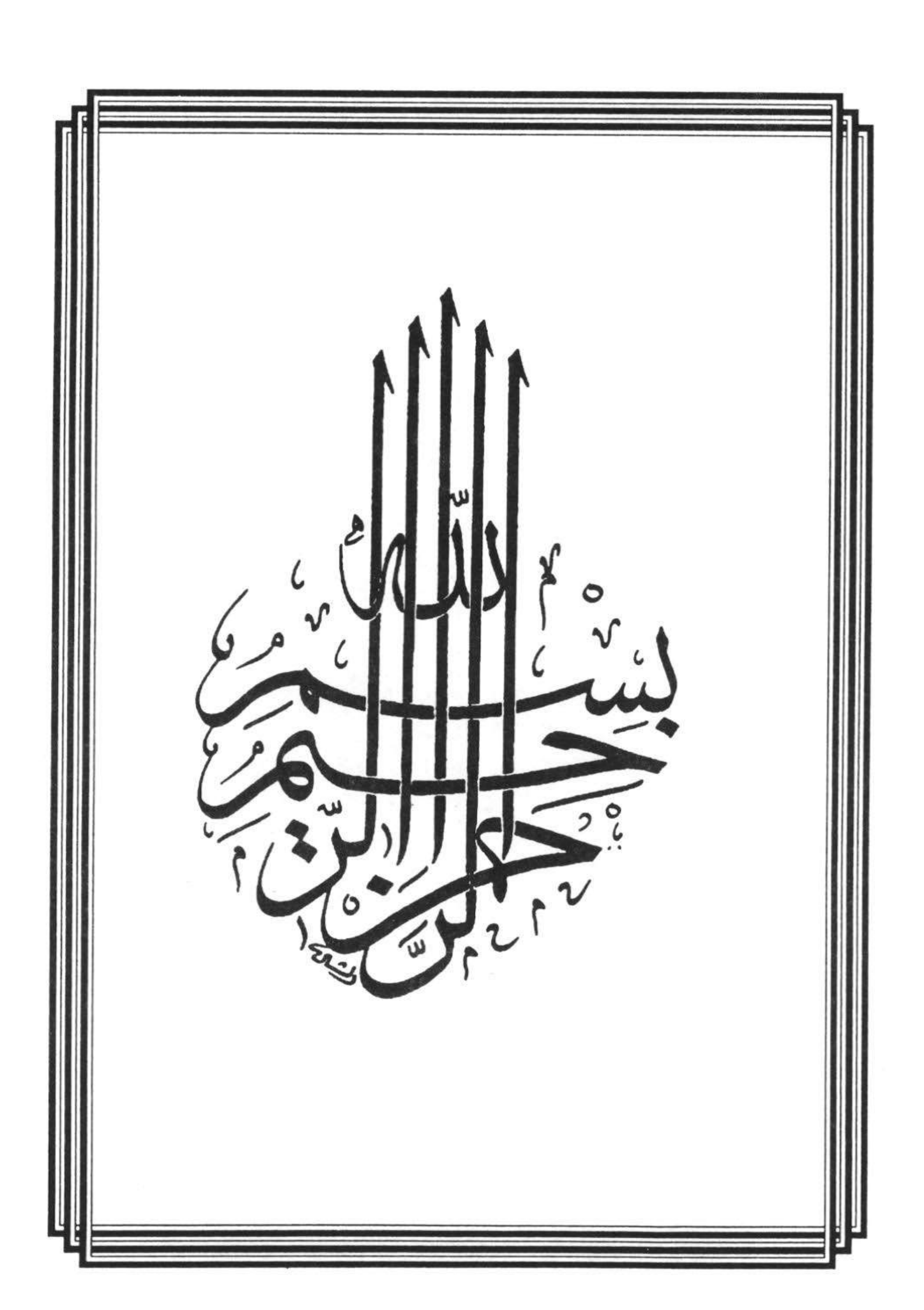
من أعلام عمان

صور مشرقة من حياة الرعيل الأول

تأليف
الشيخ الدكتور
صالح بن أحمد الصوافي

العدد الثاني

الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥م


بسم الله الرحمن الرحيم

قَال الله تعَالىٰ :

« مِنَ الْمُؤمِـنِـينَ رِجَالٌ صَدَقُـواْ مَاعَاهَدُواْ اللَّهَ عَلَيْـهِ فَمِنْهُـم مَّن قَضَىٰ نَحْبَـهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُواْ تَـبْدِيلاً ».

صَدق الله العظيم
سورة الأحزاب
آيـه - ٢٣

تقديـــــــم

بقلم: الشيخ
أحمد بن سعود السيابي

يعتبر الامام ابو الشعثاء جابر بن زيد الازدي العماني واحدا من اولئك الرواد العظام الذين وهبوا حياتهم للاسلام وللعلم فهو لم يكد يلبس طوق الشباب حتى شد الرحال وضرب اكباد الابل ميمما وجهته صوب الحجاز ليحط الرحال في مدينة الرسول ﷺ ملقيا بركبتيه امام الصحابة الكرام رضوان الله عليهم الذين كانوا اوعية علم مدرسة النبوة .

ولقد ساعد ابا الشعثاء ماوهبه الله اياه من قوة الذاكرة ودقة الملاحظة والمعية الفكر على استيعاب كثير من العلم عن صحابة الرسول ﷺ فنال اعجابهم وثناءهم فانهالت عليه شهادات الثناء والتقدير والاعتراف بعلمه من اشياخه كعبد الله بن العباس حبر الامة وترجمان القرآن ، وعبدالله بن عمر كما نال اعجاب زملائه كبار التابعين كالحسن البصري وابن سيرين وقتادة وغيرهم .

وقد جاء عمل الامام جابر حاسما للخلاف الذي كان يدور بين الصحابة والتابعين حول مشروعية تدوين العلم وتقييده بالكتابة فالف ديوانه الضخم المعروف «بديوان جابر» وهو بهذا يعتبر أول من ألف في الاسلام .

حول العديد من النقاط عن حياة الامام أبي الشعثاء وفكره يأتي بحث استاذنا الدكتور / صالح بن أحمد الصوافي موضحا لتلك النقاط ومبرزا لابعادها العلمية والفكرية والسلوكية والدكتور الصوافي ليس غريبا عن هذا الامام العظيم فهو على طريقته مذهبا وعن شخصيته وعلومه باحثا فقد ربطته به رسالة الماجستير التي اعدها عن هذا الإمام .

فهو جابري الهوى مذهبا وبحثا .

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه والتابعين لهم باحسان .

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيـــــــد

الحمد لله رب العالمين، الحكيم في أمره ، سبحانه دبر الأمور بحكمتـه، وقدر الاقدار بقدرته، فتدور الأيام بإرادته.

والصـلاة والسـلام على المبعـوث رحمـة للعـالمين، وإمـامـاً للمـرسلين، وسراجاً للمهتدين، فبلغ الرسالة، وادى الامانة، ونصـح الأمـة، وكشف الغمة، وعلى آله وصحبه، دعاة الحق، الـذين عـزروه ونصروه، واتبعـوا النور الذى انزل معه، وعلى من اتبعهم باحسان إلى يوم الدين.

أمـــا بعـــــد :

فالناظر إلى التاريخ العماني، يجد ابعاده الحضارية، وآفاقه الثقافيـة، ذلك لانه تاريخ ناصع البيان ، قائم على أسس ثابتة الأركان ، قوية البنيان .

ولقد كان بناة ذلكم التـاريـخ وصـانعـــوه، قـد ادركـوا مهمتهم في حياتهـم، وواجبهم تجاه إسلامهم وأوطانهم، ومجتمعاتهم، فسخروا جميع طاقاتهم وقدراتهم وعطاءاتهم فيما فيه النفع للبشرية جمعاء، ولم يقتصر ذلك الاهتمام المتواصل منهم في مجال واحد من مجـالات العلم، أو إبـداع معين من الابداعات الفكرية، وانما سخروا جميع إهتماماتهم في مختلف المجـالات العلمية والفكرية والتربوية والمعمارية والفقهية، والاجتماعية، والتاريخية.

ولقد عرف العمانيون منـذ ان شـاء الله لهم أن يـوجـدوا على ظهـر هـذا الكوكب الأرضي، وعلى هذه التربة الزاكية، وهم جهـد متـواصـل وبنـاء متكامل.

عرفوا قبل الإسلام بإبائهم وشممهم وفهمهم وعروبتهم، فكان فيهم المفكرون، والشعراء المجيدون، وعرفوا بعد بعثة النبي - ﷺ - بإيمانهم بالله وتصديقهم لرسالته، ونبذهم للعقائد الفاسدة، وتخليهم عن موروثات آبائهم التي ماانزل الله بها من سلطان.

آمنوا بالإسلام عن طواعية من انفسهم، وذلك دليل على سلامة فطرتهم، ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها﴾ [1] اهتدوا بهدي الله، وساروا على منهاجه، وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر.

واعتقد - أيها القارىء الكريم - أن ماقلته في هذا التمهيد، ستتضح لك معانيه، وتتجلى لك مباينه، عندما تقرأ سيرة أئمة اعلام، وحماة للإسلام، حملة معارف شتى. سخروها في خدمة قضايا أمتهم ومجتمعهم، فمنهم من هاجر من عمان، ضارباً اكباد الابل إلى منابع الإسلام الأولى - من أجل العل منها، والإرتواء من حياضها، ثم عاد إلى بلده فاتحاً لمدرسة فقهية أو علمية، موجها مجتمعه من حلقات تلك المدرسة، مصححاً لمساره، منوراً لقلوب أبنائه، مبينا لهم مافيه صلاحهم وسعادتهم.

ومنهم من هاجر بعد ذلك إلى المراكز العلمية، التي اشرق نورها وشاع بين الاسماع صيتها، فتعلم وعلم والف واحكم.

ومنهم من قاد أمته لمارآها يهددها الخطر، ويتهددها الشر.

ومنهم من صرف عنانه وسخر قلمه في التوجيه والتأليف، وبيان ماهو نافع من علم شريف ، وطرح ماهو تحريف وتصحيف ، فاثرى المكتبة

---

(١) سورة الروم آية ٣٠

الإسلامية بمؤلفاته وكتاباته ، والله يهب مايشاء من الحكمة لمن يشاء من عباده .

ومن بين هؤلاء الصفوة أئمة مرضيون ، وفقهاء نابهون، كانت جميع حياتهم تجسيداً علميا وعملياً ، إخترت منهم في هذا العدد شخصية تابعي جليل ، هو الإمام جابر بن زيد الازدي نسباً ، العماني نشأة ، لما يتمتع به هذا الإمام من مكانة علمية وإجتماعية ، لأنه ـ رحمه الله ـ ثقة معتبرة عند جميع الاباضية كما هو ثقة عند غيرهم .

وسيدور بحثنا عن شخصية هذا الامام في المباحث التالية :

المبحث الأول : جابر بن زيد مولداً ونشأة.

المبحث الثاني : هجرته العلمية.

المبحث الثالث : مكانته العلمية.

المبحث الرابع : حياته العملية

المبحث الخامس : من آثاره الخالده.

المبحث السادس : جابر بن زيد في ذمة الله.

والله اسأل ان يجعل هذا البحث خالصاً لوجهه الكريم يوم لاينفع مال ولابنون إلا من اتى الله بقلب سليم.

دكتور صالح بن أحمد الصوافي

المبحث الأول
جابر بن زيد مولداً ونشأة

هو ابو الشعثاء [1] جابر بن زيد الازدي الجوفي البصرى من قبيلة اليحمد الازدية في عمان، صحب ابن عباس وكان من بحور العلم [2]

وقد عرف بالجوفي نسبة الى مقر نشأته ، وذلك في بلدة فرق لان هذه البلدة تقع في منطقة تعرف باسم الجوف من عمان.

وقد اخطأ بعض المؤرخين في نسبته الى الجوف جوف (الخميلة) وهو مكان بالبصرة [3]

ولعل هذا الاسم في البصرة عرف بعد ان استقر الازد في ذلك المكان فسموه باسم المنطقة التي جاءوا منها [4]

وكان مولد الإمام جابر بن زيد في تلك القرية من المنطقة الداخلية المعروفة في وقتنا الحاضر، وهى إحدى المناطق الزراعية ، التي توجد فيها التربة خصبة ، والزراعة نامية. والمحاصيل وافرة، وجوها معتدل في اغلب اوقات السنة : يعلوها (الجبل الأخضر) ويتميز هذا الجبل باعتدال المناخ ووفرة الثمار، وكثرة الخيرات.

---

(١) الشعثاء ابنته وهو يكنى بها لذا ورد ذكره بهذه الكنية في مختلف الكتب منها تهذيب التهذيب ص ٣٨ ومنها طبقات المشايخ ج ٢ ص ٢٠٦ وقبر ابنته ما يزال معروفا في بلدة فرق من أعمال ولاية نزوى .

(٢) الاعلام للزركلي ج ٨ ص ١٠٤

(٣) الهامش على تهذيب التهذيب ص ٣٨ ج الطبعة الأولى .

(٤) نشأة الحركة الاباضية ص ٨٦ الطبعة الأولى .

في تلك المنطقة الخضراء كان مولد جابر بن زيد وبدء حياته.

وتذكر كتب السير ان مولد الإمام جابر كان فيما بين عامي ١٨ـ٢٢ هجرية [١] على صاحبها افضل الصلاة وازكى السلام.

ولم تجمع المصادر التاريخية على تحديد سنة مولده، وانما ذكرت تواريخ عدة، تتراوح مابين التاريخين المذكورين، ولكنها مجمعة على نسبة مكان مولده ونشأته، فهو عماني المولد والنشأة، أزدي النسب، وكان مولده ـ كما بينا ـ في بلدة (فرق) التي كان لأهلها سابقة في الإسلام، ولهم بين دعاته وحماته مكانة.

ولاتورد المراجع شيئاً يذكر عن نشأته الأولى.. كيف قضى فترة طفولته وصباه..؟ وأين وكيف تلقى علومه الأولى؟ ومتى غادر بلده (فرقا) وعشيرته الأزد وأرضه عمان؟

ومع ذلك فقد يجوز لنا أخذا بالشواهد ورد المسببات إلى أسبابها بحكم الواقع والظروف ان نقرر مايلي:

أولاً: ان جابر بن زيد نشأ نشأة ليس فيها الترف المفرط ولا الحاجة الملحة.. فهو من قبيلة ذات قوة وشمم، وكان مولده في اقليم اشتهر بالخصب، ووفرة الخيرات العادية والعيش الكفاف دون بهرجة أو اسراف.

ثانياً: إن حياة جابر واهله كانت تقتضي منهم العمل وبذل الجهد دون أن

(١) البرادي (الجواهر) ص ٥٥ والعقود الفضية للشيخ / سالم بن حمد الحارثي ص ٩٣

يركنوا إلى ترف أو خمول فالأرض لاتثمر إلا لمن يرعاها والحياة لاتتوفر إلا لمن يعمل . .

وتذييلاً على ماتقدم، فإن جابراً لابد ان يكون قد عرف في صباه حياة العمل، وشارك أهله في زراعة الأرض وفي سائر مايمتهنون من اعمال تتصل بذلك، وكانت تلك الفترة من حياته فترة اعداد وتكوين، ولعل هذه الفترة هي التي اكسبته ضرورة الاعتماد على النفس، وجعلته يدرك ان العمل المثمر هو الذي يقوم على حسن التدبير وكمال الإعداد ودوام الرعاية.

ثالثاً : لعله تلقى في هذه الفترة من حياته مبادىء القراءة والكتابة حتى اتقنها، كما لابد وان يكون قد ألم بالكثير من المعارف الدينية وبعض الأمور الفقهية، نتيجة لحفظه جانباً من القرآن الكريم.

ومن المعروف عن جابر بن زيد ـ كما سيتضح ذلك من سيرة حياته فيما بعد ـ انه كان فطناً شديد الذكاء وقاد البصيرة واسع الأفق . . وهذا يدعونا إلى القول بانه لابد وان يكون قد حصل في هذه الفترة من حياته على جانب كبير من العلوم الدينية.

المبحث الثاني
جابر بن زيد وهجرته العلمية

لقد هاجر الإمام جابر بن زيد ـ رضى الله عنه ـ الى البصرة، إذا فما الذي دعاه الى ان يهاجر إليها ولم يكن يشكو فاقة في بلده، أو يقاسي شظفا في عيشه؟ لم يكن واقعه الى ذلك إلا للمزيد من المعرفة، والرغبة الصادقة في التبحر في العلم، والتزود بكل المعارف التي تصلح بها امور دينه ودنياه، وكان اول نزوحه الى البصرة حيث اتخذها له دار مقام ـ وشاركه فيها بعض اهله ـ ومن البصرة مضى الى الحجاز ـ لنفس الغاية ـ وظل لفترة طويلة يتردد مابين البصرة والحجاز.

ولاتذكر المراجع التاريخية سنة نزوحه من عمان ـ إلى البصرة، ومع ذلك فمن المرجح أن ذلك كان في صدر شبابه . . بعد أن بلغ اشده. واكتملت رجاحة عقله، وازداد نهمه الى مزيد من المعارف، بعد ان حصل منها في موطنه القدر الذي يجعله يطمع في المزيد، ويدفعه الى البحث عن منابع اخرى، تشبع رغبته، وتروي ظمأه.

قال العلامة الشماخى : «جابر بحر العلم، وسراج الدين، اصل المذهب واسه، الذي قامت عليه آطامه» خرج جابر في شبابه من وطنه «فرق» من اعمال نزوى . . فسكن البصرة طالبا للعلم [(١)] .

---

(١) العقود الفضية ص ٦٣

وفي البصرة كان مقام جابر بن زيد، وكان تلقيه فيها لكثير من المعارف الاسلامية، والعلوم المختلفة، وخاصة مايتعلق منها بعلوم القرآن والحديث ومايتصل بهما، ولابد أن يكون قد اكمل حفظ القرآن جميعه، قبل ان يتهيأ للرحلة الى الحجاز، ولم يكتف بالدراسة في «البصرة» بل اتخذها مقرا له ينشر فيها العلم، ويقوم بالتدريس والتأليف، ويهتم بشؤون المسلمين، وكانت قضية الخلافة من القضايا التي مرت عليه ودرسها دراسة مستفيضة وعميقة، وانتهى منها الى رأى ثابت مبنى على روح العدالة في القرآن الكريم، والسنة المطهرة على صاحبها افضل الصلاة والسلام ، ومستنداً على سيرة السلف الصالح من الصحابة الاجلاء [1] .

اما في الحجاز فقد كان مقامه لفترات عديدة، وكان حرصه يدفعه الى اطالة المكث بين الصحابه - رضوان الله عليهم - حيث تلقى كثيراً من العلوم عنهم، واذا كان هو دافعه الى النزوح من موطنه الأصلي في عمان الى البصرة، فان هذا الحب نفسه هو الذي كان يدعوه لعدم الاستقرار في البصرة طويلاً. . وكيف له ان يستقر بها بعد ان لقى عددا من كبار الصحابة في المدينة المنورة وصحبهم وصاحبهم، وتتلمذ عليهم واخذ عنهم، ودارسهم الحديث ورواه عن جماعة منهم، ومن هنا تعددت رحلاته الى الحجاز . . حتى ليروى انه كان يرتحل سنوياً الى «مكة»

وربما كان ذلك في موسم الحج وهناك كان يلتقى بابن عباس وغيره من كبار الصحابة - رضوان الله عليهم - فمن كانوا له شيوخاً ومعلمين.

---

(١) الاباضية في موكب التاريخ - الحلقة الاولى ص ٦٢ الاستاذ علي يحيى معمر .

وهكذا يتبين لنا انه ـ رحمه الله ـ نذر حياته منذ مطلع شبابه للتعليم والتعلم والدرس والتحصيل، وتلقى العلم من منابعه الاصلية، وانه لم يألوا في ذلك جهداً، وظل على هذا الحرص الشديد، فشهد له عدد من كبار الصحابة وغيرهم بالمكانة العلمية الرفيعة، وبالاصالة بالفتيا في الدين ورواية الاحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ .

وتصف كتب الطبقات : جابر بن زيد بانه «بحر العلم العجاج وسراج التقوى، ناهيك به من سراج، اصل المذهب واسه الذي قام عليه نظامه، ومنار الدين ومن انتصبت به اعلامه، صاحب ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ وكان امهر من صحبه، وقرأ عليه، وكان مقدما معه يشار إليه في الفتوى. . وقد ورد أن إبن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال : اسألوا جابر بن زيد، فلو سأله أهل المشرق والمغرب لوسعهم علمه. . [1]
وكان لجابر بن زيد المكانة العليا مع إبن عباس ـ رضي الله عنهما ـ [2]

فكيف وصل جابر إلى هذه المكانة. ؟ وكيف تمكن من أن يعد نفسه اعداداً علميا حتى بلغ تلك المنزلة. ؟

كان جابر ـ كما بينا ـ محبا للعلم منذ صغره ـ متشوقاً للمعرفة. . وقد رحل في مطلع شبابه الى البصرة ليتزود بعلوم القرآن والحديث وما يتصل بهما ـ كما أشرنا سابقا ـ كما ذهب إلى الحجاز ـ واقام بين الصحابة ـ

---

(١) الدرجيني ، طبقات المشايخ ، بالمغرب ج ٢ ص ٢٥
(٢) العقود الفضية ص ٩٥

مرات عديدة ولفترات طويلة، وقد اتاح له ذلك ان يتتلمذ على ايدى الكثير من صحابة رسول الله ﷺ والتابعين.

ومن أهم ـ الصحابة ـ الذين أخذ عنهم جابر العلم: عبدالله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وابو سعيد الخدري وغيرهم من الصحابة رضى الله عنهم [1] ولانجد ضرورة لتوضيح مكانة هؤلاء الصحابة الأجلاء في الدين، والفقه والعلم بالقرآن والتفسير والحديث، حتى ليؤخذ باجتهادهم..

وهكذا كانت صحبة جابر بن زيد لهؤلاء الصحابة، وأخذه العلم والفقه عنهم، هي الاساس الذي استمد منه العلم بالدين، والبصر بالحديث. وكذلك كان جابر بن زيد يلتقى بأم المؤمنين : عائشة رضى الله عنها ـ ويأخذ عنها العلم ويسألها عن سنة الرسول ﷺ، ويناقشها في كثير من المسائل مما يتعلق بحياة رسول الله ـ ﷺ ـ الخاصة والعامة.

فقد ورد عن إبى سفيان محبوب بن الرحيل: قال: دخل جابر بن زيد على عائشة ـ رضى الله عنها ـ قال : فأقبل يسألها عن مسائل لم يسألها عنها من قبل ـ حتى لقد سألها عن جماع النبي ـ ﷺ ـ كيف كان يفعل ؟ وإن جبينها يتصبب عرقا، وتقول : سل يابنى : ثم قالت له ممن انت ؟ قال من أهل المشرق، من بلد يقال لها عمان قال العلامة أبو اسحاق معلقا على ذلك : المراد انه سألها عن مقدمات الجماع التي يجوز السؤال عنها، حرصا

---

(١) الاباضية في موكب التاريخ الحلقة الأولى ص ١٤٤ وازالة الوعثاء عن اتباع أبي الشعثاء ص ١٨ .

منه رضى الله عنه على نقل السنة وجمعها ، لكي يكون المسلم مقتديا برسول الله - ﷺ - في كل اعماله دقيقها وجليلها. [1]

قال في شرح النيل: وقد سأل جابر بن زيد رحمه الله عائشة رضى الله عنها عن مسائل لم يسألها عنها أحد، حتى سألها عن جماع رسول الله - ﷺ - .

ونورد هنا كلاما آخر للعلامة ابي اسحاق معلقاً على هذه الرواية بقوله: اعلم أن هذه الرواية قد ردها الشارح رضى الله عنه في غير هذا الكتاب ولايبعد أن يكون ذلك في تفسير (التيسير) واحتمل لصحتها ان الامام ابا الشعثاء كان يسألها عن مقدمات الجماع، لأن الجماع نفسه لايجوز السؤال عنه، ولا الإخبار به، فكيف يسأل عنه الإمام أم المؤمنين.؟ ورجح بطلانها. قلت: لايصح أن يكون هذا السؤال عن الإمام جابر بن زيد مع جلالة علمه ومكانته في الدين، نعم هو على أشد مايكون من الحرص على جمع السنة النبوية لان اعماله (ﷺ) وافعاله تشريع لأمته، لكنه لايصح

ان يسأل عائشة - رضي الله عنها - وجبينها يتصبب عرقا حياء على كيفية جماعه (ﷺ) ، ولاشك أن ذكر البدر الشماخي رحمه الله لها للاحتمال المذكور.

والرواية عن إبي سفيان محبوب بن الرحيل - رحمه الله - التي ذكرناها من أئمة الطبقة الثالثة من التابعين وهو ثقة محدث مشهور، ذكرها شمس

---

(١) راجع الهامش في كتاب «تحفة الاعيان» ج ١ ص ١٠

الدين أبو يعقوب في ترتيب المسند الصحيح ، وإذا تأملت وانت على ذكر من ورع أصحابنا وتثبتهم، رأيت أن الرواية ذكرها هؤلاء الثقات الكبار، على التأويل الذي جرى عليه القطب ولايصح خلافه فاحذر القيل والخطأ في حق الائمة الثقات الذين لايحرموا أدنى شائبة الريبة.

ولنا في هذه المسألة كلام بسيط في ذكر ابي الشعثاء وذكر القطب لها هكذا إجمالاً، اما إتكالاً على ظهور الاحتمال ، وإما سهوا وجل من لايسهو. ولقد تمسك بها بعض المخذولين ، وظنها سهما صائبا وجهه نحو الإمام ابي الشعثاء أمام أهل الإستقامة ، ومادرى أنه مسه طائف من الشيطان. . فاستزله عن منهاج الرحمن، ولو اصطحب معه تقرير السلف وحرصهم على الدين واصول التشريع ، لكفى نفسه الآئمة مؤنة القدح، في إمام اجمعت الأمة على توثيقه. [1]

وكان على رأس الصحابة الذين أخذ عنهم جابر بن زيد العلم كما سبق أن ذكرنا عبدالله بن عباس ، المعروف بحبر الأمة وترجمان القرآن ، وهو من أجلة الصحابة الذين شرفوا بصحبة رسول الله - ﷺ - ونقلوا عنه سيرته العطرة، وسنته الشريفة.

وكان جابر كثير الملازمة لابن عباس والتلمذ عليه، وكان الود والتقدير متبادلين بين الإستاذ والتلميذ. . حتى لنجد ابن عباس يقول : لو أن أهل البصرة نزلوا على قول جابر بن زيد لأوسعهم علما عما في كتاب الله» [2].

---

(١) الهامش على شرح كتاب النيل الجزء التاسع ص ٢٣٣ - ٢٣٤ .

(٢) البخاري - التاريخ الكبير ج - ١ - ق ٢ ص ٢٠٤ - وأيضا كتاب حلية الأولياء لأبي نعيم ج «٢» ص ٨٥ .

المبحث الثالث
مكانتــه العلميــة

لقد بلغ من العلم والمكانة، ماأهلـه لأن يعتبر أحـد التـابعين الفقهـاء ، الذين تؤخذ عنهم الفتيا ، كما يتلقى عنهم العلم بأمور الـدين . وكيف لم يكــن كذلك ؟ وهو يقول : «ادركت سبعين بدريا فحـويت مـاعنـــدهم من العلم الا البحر» [١] وإذا كان هذا الامام قد استطـاع بـما اوتي من جهد وذكاء وهو ان يجمع علم سبعين بدريا فانه ليس غريبا ان يكون جمـع من علم بقية الصحابة ـ رضـوان الله عليهم ـ مـالا يبلغـه الحصر ، لكثـرة عددهم ؛ وسهولة الاخذ عنهم [٢]

وقد سار جابر في حياته العلمية سيرة الرجل الورع ، الـذي لايبغى غير مرضاة الله .

وقد رويت عنه وقائع واحداث، وكانت لـه آراء في الـدين، تتفق كلهـا مع ماذكرنا من أمر زهده وورعه وتقواه .

كما كان له دور فيما وقع بعد ذلك من أحداث في حياة جماعـة المسلمين، وكان ذلك الدور ترجمانا لصادق ايمانه ، وكان بمثابـة «التطبيق العملي» لمـا وصل إليه من اراء، وما دعا إليه من فقه .

---

(١) البحر لقب لعبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ وهو لم يشهد بدرا ، فالاستثنـاء في كـلام الامـام جـابـر استثنـاء منقطع .

(٢) الاباضية في موكب التاريخ ـ الحلقة الأولى . ص ١١٤ .

وكان لجابر بن زيد ـ فضلا عن ذلك كله آثاره العلمية ، التي تتمثل فيما دون من كتب، وما أنشأ من رسائل، وإن كان معظم ذلك التراث العلمي الرائع لم يكتب له أن تحفظ أصوله، إلا أن الإشارة إليه، والحديث عنه ، كانا مما اثبتته مراجع الثقاة من العلماء والمؤرخين ـ كما ان رواية من روى عنه ـ وأهمهم الامام الربيع بن حبيب في مسنده، أكدت لنا إلى أي مدى كان ذلك التراث رائعا.

ومن الأخبار الثابتة التي رواها البخاري: في التاريخ الكبير ، كما رواها غيره من الثقاة أن عبدالله بن عباس ـ الصحابي الجليل ـ كان يقول : «لو أن أهل البصرة نزلوا عند قول جابر بن زيد لأوسعهم علما عما في كتاب الله . وفي رواية أخرى أنه كان يحيل سائليه إلى تلميذه جابر» ويقول : «اسألوا جابر ابن زيد فلو سأله أهل المشرق والمغرب لوسعهم علمه » [(١)].

وروى عن إبن عباس ايضا انه كان يسأله اناس من أهل البصرة، وكان يبادرهم بقوله «كيف تسألونني وفيكم جابر بن زيد. [(٢)] وقال محمد بن محبوب من علماء القرن الثالث للهجرة: «جابر اعلم من الحسن البصري ولكن جابرا لقوم والحسن للعامة «يعنى انه يعظهم واما الفتوى فكانت لجابر خاصة. [(٣)]

ومما يروى ايضا ان عبدالله بن عمر الصحابي الجليل ـ رضى الله عنه ـ وصف جابر بن زيد « بانه من فقهاء أهل البصرة البارزين» [(٤)].

---

(١) البخاري التاريخ الكبير ج ١ ص ٢٠٤ ـ الذهبي : تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٦٨ ، ٧٢

(٢) الطبقات للدرجيني ص ٧٨ .

(٣) العقود الفضية ص ٩٦

(٤) تذكرة الحفاظ للذهبي ص ٩٣ .

قال العلامة ابن القيم في كتابه (اعلام الموقعين): بعدما ذكر المفتين من الصحابة ذكر التابعين وابتدأ بأهل المدينة وفقائها وثنى بمكة المكرمة وفقائها وثلث بالبصرة الغراء وذكر من فقهائها المفتين الموقعين عن رب العالمين (ابا الشعثاء جابر بن زيد) وقال انه معروف ثقة باجماع المحدثين والفقهاء. [1]

ومن المعلوم ان جابر بن زيد لم ينل تلك المكانة العلمية والعملية، إلا بما حرص عليه من التزود بالعلم، والتفقه في الدين، والتثبت من رواية الحديث، ومداومة حفظ كتاب الله الكريم ، وتدارسه والعمل بمقتضاه..

عاش في البصرة كما عاش اكثر زملائه من كبار التابعين، ينشر العلم والمعرفة، في المساجد والمجامع، ويبث الخلق الحميد بين الناس، ويدعو إلى التمسك بحبل الله المتين، والأخذ بعرى الدين الحنيف، والمحافظة على أصوله وفروعه. ويحل المشكلات والمعضلات التي تعرض للناس، حتى لقد قال إياس بن معاوية « ادركت أهل البصرة ومفتيهم جابر بن زيد، من أهل عمان» [2] .

ومما يدل على مكانته العلمية وطول باعه في ميدان الفتيا والإجتهاد أيضا ان عمرو بن دينار ـ وهو أحد العلماء النبغاء في البصرة ـ آنذاك ـ وأحد التابعين كان يذكر الإمام جابر بن زيد بقوله «مارأيت احداً أعلم بالفتوى من جابر بن زيد» [3] .

ومما يدل على تلك المكانة أن ابن عباس كان يطلب من سائليه ان يسألوا

---

(١) كتاب « اعلام الموقعين » .

(٢) الاباضية في موكب التاريخ الحلقة الاولى ص ٣٢ ـ تذكرة الحفاظ ، للذهبي ج ١ ص ٦٨ ، ٧٢

(٣) نشأة الحركة الاباضية ص ٨٨ ـ البخاري ، التاريخ الكبير ج ١ ق ٢ ص ٢٠٤ .

جابرا ويقول : اسألوا جابر بن زيد فلو سأله أهل المشرق والمغرب لوسعهم علمه» [1] .

وقد وصفه عبدالله بن عمر بن الخطاب بأنه من فقهاء البصرة البارزين [2] .

وهكذا نرى أن جابراً ـ رحمه الله ـ قد اكتسب علماً واسعاً واصبح ذا قدم ثابتة في الدين ـ والفقه ـ واحتسب مكانة كبرى في العراق جعلته أهلا للفتوى في البصرة إلى جانب الحسن البصري الموجود آنذاك .

وكان الحسن البصري يثني على جابر بن زيد ويصفه بالفقيه العالم . [3] .

وكما كان جابر تلميذا لابن عباس وأنس بن مالك وعبدالله بن عمر، فقد صار ـ بعد أن تمكن من العلم ـ أحد كبار التابعين. ممن يتلقى عنهم المسلمون أمور دينهم، ويلتمسون لديهم الهداية. . كما كان شيخا لكثيرين من الاعلام. تلقوا عنه العلم، ورووا عنه الاحاديث الصحاح منهم : قتادة شيخ البخارى وأيوب، وابن دينار، وضمام بن السايب وحيان الأعرج، وأبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة [4] وعنه روى الربيع ابن حبيب مسنده المشهور في الحديث [5] .

---

(١) تذكرة الحفاظ للذهبي ج ١ ص ٦٨ .
(٢) السير للشماخي ص ٩٣ ـ الطبقات ـ للدرجيني ص ٧٨ .
(٣) البخاري ـ التاريخ الكبير ج ١ ـ ق ٢ ص ٢٠٤ ـ الذهبي ـ تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٦٨ .
(٤) على يحيى معمر : الاباضية في موكب التاريخ (١) ص ١٤٥ .
(٥) المرجع السابق ص ٢٠٥ .

وهكذا كان جابر بن زيد عالماً وفقيها، تلقى العلم من منابعه الأولى : عن الصحابة الاجلاء وقد وعى عنهم، وروى الحديث، وتفقه في الدين، حتى حق له ان يحتل مكانة الفتيا، وان تروى عنه الاحاديث. . ثم كان له بعد ذلك مواقفه فيما جد في حياة المسلمين من احداث ، ومانجم من فتن. . ولم يصدر في كل مواقفه إلا عما كان يؤمن به ويعمل من أجله، ألا وهو كتاب الله وحبله المتين وسنة رسوله الأمين ـ عليه أفضل الصلاة وازكى التسليم ـ

قال ابو سفيان ـ محبوب بن الرحيل ، كانت جدة أبى يقال لها ام الرحيل. . والرحيل أبي وبه يسمى واسم جدى العنبر، وكانت ام الرحيل قد كبرت حتى لم تطق الصيام، قال فأتى بها ابناها الرحيل والعنبر الى جابر فقالا : ياابا الشعثاء إن ام الرحيل قد كبرت فلا تطيق الصيام وكما ترى انها لعلى قيد الحياة بعد. قال : تصوما عنها ـ قال : فتنافسا في ذلك قال : وكان الرحيل اكبر من العنبر فصام عنها الرحيل، فلما كان في العام الثاني اتياه فاعلماه أيضا بحالها فقال : ماكنت امرتكم به في العام الاول؟ قالا : ـ آمرتنا ان نصوم عنها قال فأطعما عنها فأطعم عنها العنبر [1] .

فانظر كيف يرغب في فعل الخير وكيف يحث من يسأله في المسارعه الى طاعة الله والبر بالفقراء.

تلك واحدة. . أما الثانية. . فقد رأى أحد الحجبة يصلى فوق الكعبة،

---

(١) الطبقات للدرجيني ج ٢ ص ٢٠٦ .

فنادى ـ أى أن جابر بن زيد قد نادى : (يا من يصلي فوق الكعبة لاقبلة لك) [1] .

ولقد كان ابن عباس في ناصية من المسجد، فسمعه، فقال: إن كان جابر بن زيد في شيء من البلد فهذا قول منه.

قالت هند بنت المهلب : كان جابر بن زيد أشد انقطاعاً إلى والى أمي، وكان لايعلم شيئا يقربنى الى الله تعالى الا وامرنى به، ولاشيئاً يباعدني عنه الا ونهاني عنه، وكان ليأمرنى أين يوضع الخمار من جبهة المرأة المسلمة؟ وتضع يدها على الجبهة، لتبين موضع الخمار من جبهة المرأة.

وعلى ذلك يمكن لنا ان نقرر باطمئنان ان جابر بن زيد كان تابعيا جليلاً فضلاً عن انه واحد ممن كانت له مكانته في الافتاء، وكان لآراءه في الدين اعتبارها. لذا كان الذين عرفوا فيما بعد ـ بالاباضية ـ يصدرون عن رأيه في جميع أمورهم كما كان يصدر عنه كثير من غيرهم من المسلمين. [2]

فهو من التابعين باحسان. . من الذين كان لهم دور كبير في تأصيل الفقه الإسلامي، ويتلخص هذا الدور في عملين [3] :

أولهما : جمع المروي والثابت من احاديث الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ وكذلك جمع المروي من اقوال الصحابة وإجتهاداتهم. . وكان من يسر ذلك أن كل تابعي كان تلميذا لصحابي أو أكثر، ينقل علمه إلى من بعده.

---

(١) الاباضية في موكب التاريخ ج الاول ص ١٤٩ .

(٢) الاباضية في موكب التاريخ الحلقة الاولى ص ١٤٥ .

(٣) تاريخ المذاهب الاسلامية للاستاذ/ محمد ابو زهرة ج ١ ص ٢٩ ومابعدها .

وقد علمنا ان جابر بن زيد، كان ممن تتلمذ على عبدالله عباس ، وعبدالله بن عمر، والسيدة عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنهم اجمعين - ومن المعلوم بمكان أن يروى عن جميع هؤلاء مايحفظون من احاديث الرسول - ﷺ - . . بل كان حرص جابر على ذلك منقطع النظير . . كان يسأل ويلح في السؤال ، ويتطرق إلى مختلف النواحي في رغبة صادقة، ومخلصة إلى الإحاطة الشاملة، وقد مر بك حديثه مع أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها عندما سألها عن أخص خصائص الرسول - ﷺ - حرصا منه - رضى الله عنه - على نقل السنة وجمعها لكي يكون المسلم مقتديا به صلوات الله وسلامه عليه في جميع أعماله دقيقها وجليلها.

وثاني العملين : تجسيده لما قام به التابعون من إجتهادات فيما لم يعرف عن الصحابة رأى فيه، وليس فيه نص من قرآن أو سنة، فكان لهم إجتهاد وراء ماينقلون من احاديث وفتاوى ، دون أن يخرج عن منهاج الصحابة.

على ان الأخذ - أو القول - بالرأى . . والذي عرف فعليا بعد الإجتهاد ووضعت له اقيسة وأصول ومناهج - هذا القول بالرأي اختلف منهجه في عصر التابعين. «لان التابعين في إجتهادهم منهم من كان يفتى برأيه، غير متوقف إذا لم يجد نصا ولافتوى صحابى، ومنهم من لاينطلق في الاجتهاد إن لم يجد مايعتمد عليه من السنة أو القرآن الكريم. . وبذلك وجد نوعان من الفقه، : فقه الرأي وفقه الأثر، واشتهر فريق من الفقهاء بانهم فقهاء رأى، وأخرون بأنهم فقهاء أثر» [1] .

---

(١) تاريخ المذاهب الاسلامية ص ٣١ - ٣٢ .

وهنا يظهر سؤالان :

السؤال الأول : من أي الفريقين كان جابر ابن زيد؟

السؤال الثاني : هل لنا ان نتابع في ذلك بعض من كتبوا في هذا المجال، إذ وضعوا قاعدة عامة، فحواها ان أهل الحديث اكثرهم بالحجاز ، واكثر أهل الرأي كانوا بالعراق؟

إنهم يستندون في ذلك إلى ماكان يرمي به فقهاء المدينة سواهم، وبخاصة من في العراق ـ ببعدهم عن السنة ـ وانهم يفتون في الدين بآرائهم.

والجواب على السؤالين ـ حاشاالله ان يكون الأمر كذلك فليس هناك بين الفريقين من يشك في الأخذ بالسنة، بل كلاهما يأخذ بها ويقبلها ويلتزم بالأخذ بها ان ثبتت . . أما اساس الاختلاف، فهو انما يرجع الى مقدار الأخذ بالرأي إلا إضطراراً وفي حالة الضرورة فقط. . اما أهل الرأي فإنهم يكثرون من الافتاء في المسائل بالرأي، مادام لم يصح لديهم حديث في الموضوع الذي يجتهد فيه.

ومع ذلك فإن «المدينة المنورة» كان بها من التابعين الذين أخذوا بالحديث أو السنة وكذلك الذين أخذوا بالرأي . . بل كان فيها من هؤلاء الذين أخذوا بالرأي عدد كبير[1] .

ولقد كان الامام جابر بن زيد من التابعين الذين اقاموا بالعراق وتصدروا بحق للفتيا ـ وهم لها أهل ـ وذلك إلى جانب روايته للحديث ـ أي فهو من أهل الرأي ايضا ـ الذين يصدرون في اقضيتهم وآرائهم عن علم صحيح بما ورد في كتاب الله الكريم، وبما ثبت من سنة رسوله الأمين عليه الصلاة والسلام وسيرة اصحابه الأخيار. ثم يقيس مستلهماً وجه الحق وحده.

---

(١) المرجع السابق ص ٣٢ ببعض تصرف .

المبحث الرابع
حياتـــه العمليـــة

لقد نشأ الإمام جابر بعمان وتلقى العلم في البصرة والحجاز ولكنه عـاش معظم حياته في البصرة وقد سار فيها سيرة أهل العلم الكرام، وقد تشعب نشاطه الى ناحيتين :

الأولى: تفقهه في الدين وعمله بـالفتيـا. والنـاحيـة الثـانيــة : دوره كإمــام لمذهب، كان لاتباعه موقف مما جرى من احداث وفتن، وكـانت لهم دعوة رأوا في متابعة آرائه ـ رضي الله عنه ـ الحل الأمثل الذي يتفق مع الكتاب العزيز والثابت من السنة المطهرة.

ولكن الذي يهمنا في هذه المبحث هو نشاطه العملي، أما دعوته ومذهبـه فمن أراد الإطلاع على ذلك، فعليه ان يرجع إلى كتابنا «الامـام جـابـر بن زيد العماني وآثاره في الدعوة» وبالذات فبامكانه الرجـوع إلى البـابين الثـاني والثالث من الكتاب المذكور.

اما فيما عدا الدعوة والمـذهب واقصـد بـذلك سيرتـه وحيـاتـه ومـوقفـه فإستكمالا للصورة التي اشرنا اليها نورد بعضا من ملامحها.

من المعروف عن جابر بن زيد انه عـاش في البصرة حيـاة زهـد وتقشف وانصراف عن لهو الدنيا وترفــهـا ـ وكـان يقـول: ســـألت ربي ثـلاثـا فاعطانيهن، سألته زوجة مؤمنـــة، وراحلة صالحـة، ورزقـاً كفافاً يوماً

بيوم [1] .

وكان يخاطب إصحابه فيقول : ليس منكم اغنى منى، ليس عندي درهم وليس على دين . [2] .

ويذكر ابن سيرين ان ابا الشعثاء كان مسلماً عند الدينار والدرهم [3] أي ان همه لم يكن منصرفاً إلى جمع الدنانير بل إلى الباقيات الصالحات فهن عند الله خير وابقى .

وقال أبو سفيان محبوب بن الرحيل ـ رحمه الله : ـ «خرجت آمنة زوج جابر إلى «مكة المكرمة» ذات سنة من السنين . ، قال : فلما رجعت سألها عن كريها [4] فذكرت منه سوء الصحبة ولم تثنِ عليه بخير ، قال فخرج إليه جابر فادخله داره، فأمر ان يشترى لإبله علفا وعولج له طعام، فلما تغذى خرج به إلى السوق، فاشترى له ثوبين فكساهما إياه، ودفع إليه ماكان مع آمنة زوجه من قربة وأداة وغير ذلك من ألات السفر، قال : فقالت له آمنة : أخبرتك ياجابر بسوء الصحبة ففعلت معه من الاحسان ما أرى! قال : أفنكا فيه بمثل فعله فنكون مثله؟ لابل نكافيه بالخير خيراً وبالإساءة إحساناً . [5]

فانظر ـ هداك الله ـ مدى تمسك الإمام جابر بهدى القرآن الكريم حيث دفعه بالتي هى أحسن مستنيراً بقول الله تعالى

---

(١) راجع كتاب الطبقات للدرجيني ج ٢ ص ٢١٣ وايضا السير للشماخي ص ٧٧ .
(٢) المرجع السابق ص ٢١٤ .
(٣) الطبقات لابن سعد ج ٧ ص ١٣١ .
(٤) الكري بتشديد الياء المكاري .
(٥) الطبقات للدرجيني ص ٢١٠ ـ ٢١١ ، العقود الفضية ص ٩٦ ـ ٩٧ .

﴿ ولاتستوى الحسنة ولا السيئة إدفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ﴾ [(١)] .

كما عرف عنه الزهد والتقوى والورع والخشية، ومما يدلنا على ذلك انه اصاب الناس على عهده ظلمة وريح وبرق ورعد، ففزع الناس إلى المساجد فخرج أبو الشعثاء إلى أحدها فجلس فيه يذكر الله، والناس في تضرع وضجة وخوف، فلما أنجلت تلك الريح والظلمة أخذ الناس ينصرفون ، فقام مخاطباً لهم إنما خفتم طي الدنيا والافضآء إلى الأخرة؟ قالوا : نعم قال : لقد خفتم أمراً عظيماً، عليكم ان تخافوا فإلى اين تذهبون الأن ؟ قالوا : إلى منازلنا، قال: لقد خفتم أمراً عظيما ففزعتم إلى الدعاء، ولوجآء ماخفتم لم يغن عنكم ماكنتم فيه شيئا، فالان إذرد الله عليكم دنياكم فاعملوا حين قبول العمل واما ماكنتم فيه فلو كان الأمر ماخفتموه لم يغن عنكم دعاؤكم من الله شيئاً » [(٢)] .

ولقد اطلع أبو الشعثاء يوماً ، فإذا برجل من الاكار ين يبكي، ويصيح فقال : مالك : ويحك ؟ فقال إن فتيان دربكم هذا نزعوا منى قنوى [(٣)] نخل جئت بهما إلى صاحب الأرض، فأخاف ألا يصدقني، فقال: فبعث جابر إلى رجل من أصحابه له نخل، فأخذ قنوين فدفعهما إليه . [(٤)]

ولقد كان جابر بن زيد يحج كل سنة فلما كان ذا سنة من السنين بعث إليه والي [(٥)] البصرة ان لايبرح العام ،فإن الناس إليه محتاجون، فقال:

---

(١) سورة فصلت آيه (٣٤) .
(٢) الطبقات للدرجيني ج ٢ ص ٢٠٦ .
(٣) القنو ، العذق بما فيه الرطب .
(٤) الطبقات ج ٢ ص ٢١١
(٥) هو الحجاج بن يوسف الثقفي .

لاافعل، فحبسه فلما كان غرة ذي الحجة جاءه الناس فقالوا : اصلحك الله، قد هل هلال ذي الحجة، فأرسل إليه واخرجه من السجن فأتى إلى داره وله ناقة قد اعدها للخروج فأخذ يشد عليها الرحل ويقول : «مايفتح للناس من رحمة فلا ممسك لها» ثم قال ياآمنة اعندك شيء؟ قالت نعم قال: فاجعليه في جرابي - أي في متاعي - فهيأت له زاده ثم قال : من سألك فلا تخبريه بمسيري يومي هذا. فخرج من ليلته فانتهى إلى عرفات والناس بالموقف، فضربت الناقة بجرانها الأرض وتجلجلت من شدة الاعياء والتعب، فقال من رآها على تلك الحال ذكها ياأبا الشعثاء. قال: حقيق لناقة رأت هلال ذي الحجة بالبصرة ان تفعل هذا ثم سلمها الله وكان قد سافر عليها أربعاً وعشرين سفراً في حجة وعمرة [1]

ولقد صور العلامة الشيخ خلفان بن جميل السيابي - رحمه الله - هذا الحدث أروع تصوير في كتابه القيم (سلك الدرر الحاوي غرر الأثر) عندما قال :

ومنهم سليل زيد جابر   وفضله في العلم أمر شاهر

وهو سراج الدين بحر العلم قد   اثنى عليه البحر [2] علماً ورشد

وقال من أهل العراق اعجب   كيف لنا إحتاجوا وعنه ذهبوا

---

(١) الأباضية في موكب التاريخ ج ١ ص ١٤٩ وأيضا كتاب «الطبقات» للدرجيني ج ٢ ص ٢٠٨
(٢) يعني عبدالله بن عباس - رضي الله عنهما .

كان يحج جابر كل سنة ... وعامل البصرة عاماً سجنه

حتى رآى هلال شهر الحج ... فقال لابد لنا من حج

وانما سجنه من أجل ما ... إليه يحتاج الورى لتعلما

فسار حينما رآى الهلالا ... وبادر الاحرام والإهلالا

وادرك الناس وهم في عرفه ... والكل قد لازم منهم موقفه

تجلجلت ناقته هناكا ... وشارفت من سيرها الهلاكا

والله قد سلمها بفضله ... وجابر لاغاية لفضله [1]

ولقد كان من حرصه ـ رحمه الله ـ على عدم تولى أي منصب رسمي ان الحجاج بن يوسف عرض عليه ان يتولى أمر القضاء فتهرب من ذلك بل وعمد إلى الحيلة حتى لايضطر إلى القبول. [2]

ولقد روي أنه وفد فيما كان يفد فيه إلى يزيد بن أبى مسلم ـ كاتب الحجاج ـ وكان به خاصاً. فادخله يزيد على الحجاج، فكان فيما كان يسأله ان قال له اتقرأ؟ قال نعم. قال أتقرض؟ قال: نعم. فعجب الحجاج ثم قال: ماينبغي لنا ان نؤثر بك أحداً بل نجعلك قاضياً بين المسلمين. قال جابر: أني اضعف من ذلك قال: ومابلغ ضعفك؟ قال: يقع بين المرأة وخادمها شر فلا أحسن ان اصلح بينهما. قال: ان هذا لهو الضعف.. ولم يو له بالفعل القضاء. [3]

---

(١) سلك الدرر ، ج ٢ ص ٥٦١

(٢) الاباضية في موكب التاريخ ج ١ ص ١٤٦ ، السير للشماخي ص ٧٤ .

(٣) الاباضية في موكب التاريخ ج ١ ص ١٤٦ . السير للشماخي ص ٧٤ .

فيا ترى ـ ماسبب إمتناع جابر عن تولى القضاء ؟ ومن المعلـوم انـه من أحسن الناس لهذا المنصـــب واصلحــه له، ولم يكن به شيء من الضعف الذي وصف به نفسه إلا تواضعاً منه رضي الله عنـه ، ومـا أظن أيضـا ان ذلك يرجع إلى المنهاج الذي أختاره لنفسه في دعوته. . فلقد كان منهـاجـه يقوم على عدم مواجهة من بيدهم الأمر خوفاً من البطش بـه، ولقـد كـان شديد الحرص على سرية معتقده، في وقت إختلطت فيه العقـائد بشـوائب ما انزل الله بها من سلطان ولقد كان ـ رحمه الله ـ يريد أولاً تنـويـر النـاس من أجل تصحيح معتقدهم بالحكمة والموعظة الحسنة والأخذ بـأيـديهم إلى طريق الحق والرشاد، ومثل هذا العمل من الصعوبة بمكان ، لأن النفس جبلت على حب الملذات.

ويتبين لنا من تلك الوقائع والاحداث التي أوردناها انه كـان في حيـاتـه زاهداً متقشفاً يرضى من حياته بالقليل ، لقـد انصرفت نفسـه عن عـرض الدنيا تماماً ولم يشغل قلبه بغير أمر الأخرة . فهـو في دنيـاه من اغنى خلق الله ليس مدينـا لأحد ولا طامعا في فضل أحد . . وماذا يـريـد من دنيـاه أكثر مما سأل ربه فاعطاه الزوجة الصالحة المؤمنة، والرسـول ـ ﷺ ـ يقـول «الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحــة» [١] وسأل ربه الرضا والعيش الكفاف، وفي الحديث عن النبي ـ ﷺ ـ انه قال «أرض بـما قسم الله تكن اغنى الناس ، انه بذلك لهو الغنى القانع الشاكـر وانـه اذكى من ان تنطلي عليه زخرفـة بـدعـة ظـاهـرة أو خـافيـة واخشى لله من أن يـرى منكـراً ويسكت عنه ، او اشجع من ان يؤيد عمل الظالمين ويرضى عن سلـوك الطاغين ، واحرص على أداء رسالـة الإسـلام من أن يكـل إلى التعليم في كل مكان [٢] .

---

(١) رواه مسلم في صحيحه .

(٢) الاباضية في موكب التاريخ الحلقة الأولى ص ١٤٩ .

ثم انه في حياته يسلك سلوك الرجل الذي أمن فصدق إيمانه، يعفو عند المقدرة، ويصفح عمن اساء إليه، ويقابل السيئة بالحسنة. إمتلأ قلبه بالايمان بالله وافاض على لسانه دعوة مخلصة إلى دين الله، وعلى جوارحه عملاً صالحاً بما يرضي الله.

كان يدعو ذوي السلطة بالتزام السنة، واتباع سيرة السلف الصالح، وإقامة العدل بين الناس وتنفيذ شرع الله كما جاء به القرآن الكريم وبينته السنة المطهرة على صاحبها افضل الصلاة وازكى السلام.

وهذه الدعوة هي اكره مايكرهه الظلمة والمستبدون في كل عصر وفي كل مصر، ولذلك قد بذلوا بما لديهم من قوة واستعملوا كل وسيلة لكي يحولوا دون هذه الدعوة ويمنعوها من أن تبلغ الناس على حقيقتها وصحتها ووضوحها لكي تبقى الأمة راتعة مستسلمة ويستمر الشعب صابراً منتظراً، ويسود الجميع القناعة والصبر، ولكن هيهات ان يسكت حملة الحق عن الدعوة إليه، وان تنطمس نور الحقيقة. لان رسول الله ـ ﷺ ـ يقول معلما أمته(ان افضل الجهاد كلمة حق عند إمام جائر يقتل بها صاحبها). وكان رحمه الله يعطف على الفقير ويغيث الملهوف ويدعو الناس ـ في كل وقت إلى الله ويدعوهم إلى الرجوع إليه كلما حز بهم الأمر، وإلى مداومة العمل الصالح حتى لايبؤوا بالخسران.

وكان جابر بن زيد ـ فضلاً عن ذلك كله ـ قوياً في الحق شديداً فيما يتصل بأمر الله، لايمالىء ولايحيد، وإنما هي الدعوة الصادقة، وهو الحق الواضح، يقوله مهما حزب الأمر.

كما نعلم أنه رغم إقامته بالبصرة، إلا انه كان شديـد التعلق بـالحجـاز، كثير الإرتحال إليها، فلايمـضي عام إلا وشـــد الـرحـــال إمـا معتمـرا أو حاجاً . . ثم ليلتقي اثناء ذلك بكبار الصحابة والتـابعين . . يـأخـذ عنهم ويأخذون عنه، فلا تنقطع بذلك صلته بهؤلاء العلماء الاجلاء الذين تلقـوا العلم بدينهم من رسول الله ـ ﷺ ـ فكانوا بذلك الأئمة والهداة ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ [1] .

(١) الامام جابر بن زيد وآثاره في الدعوة من مؤلفاتنا ص ٤٧ ـ ٤٨ .

المبحث الخامس
من آثاره الخالدة

ان للإمام جابر بن زيد مكانة بين فقهاء الإسلام ومحدثيه إلى جانب انه راو للحديث ومن التابعين الثقاة.

ومما يدل على تلك المكانة ما نقل عنه من احاديث وفتاوى ومدونات لانه ـ رضى الله عنه ـ لم يكتفِ في روايته للحديث بالرواية الشفوية بل دون ماوعى من احاديث في كتابه المسمى (ديوان جابر) ولهذا الديوان رنة في صدر الإسلام وكان موضع تنافس بين دور الكتب الإسلامية، واستطاعت مكتبة بغداد ان تتحصل عليه وان تبخل به عن غيرها من المكتبات، ولم تنقل منه إلا نسخة واحدة كافح أحد عباقرة (جبل نقوسة) للحصول عليها في قصة ليس محل إيرادها في هذا الكتاب، فإن كان هذا الديوان قد ضاع مع ضياع كنوز خلفها السلف الصالح من اوائل هذه الامة فإن ما نقل عنه من أحاديث قد شاء الله ان يحفظ، وان يصل إلينا بجهود مضنية بذلها تلميذه الإمام الربيع بن حبيب الفراهيدي البصري العماني. [1] في مسنده المعروف بالجامع الصحيح ذي السلسلة الذهبية في احاديث رسول البرية ـ ﷺ ـ.

ويروى ان الإمام جابرا قد ضمن هذا الديوان آراءه وفتاويه في أمور

(١) البصري نسبة الى البصرة لانه هاجر اليها من اجل العلم لكونها كانت مركز اشعاع في ذلك الوقت أمّا هو فعماني المولد والنشأة

العقيدة ويقال انه من الضخامة بمكان حيث يعجز عن حمله البعير ، لأنه يقع في عشرة أجـزاء كبيرة [1] وكانت نسخة منه موجودة في احدى مكتبات بغداد الكبرى في عهد الخليفة العباسى هارون الرشيد [2]

ويذكر ايضا ان نسخة من الديوان المذكور قد بقيت بعد وفاته في حوزة تلميذه الكبير أبى عبيدة مسلم بن أبى كريمة التميمي، ثم توارثتها اساطين الاباضية في البصرة .

ولقد استنسخت مخطوطات الديوان في عهده بمكة المكرمة . [3]

ويعلق أحد الباحثين وهو الدكتور عوض خليفات في كتابه القيم (نشأة الحركة الاباضية) على ماتقدم بقوله «إذا صحت هذه المعلومات حول ديوان جابر فإن الباحث يستطيع ان يقرر بان الإباضية كانت أول المدارس الإسلامية التي عنيت بتدوين الحديث، ولعل بعض المؤلفات ـ والتي لاتزال مخطوطة ـ والمروية عن جابر بن زيد أو المنسوبة إليه ـ إنما هي قطع من هذا الكتاب الكبير» . [4]

وما قاله الدكتور عوض خليفات هو الحق بعينه من ان الإباضية كانت أول المدارس الإسلامية التي اهتمت بتدوين السنة النبوية . وهذه الحقيقة يؤكدها أمران :

---

(١) اللمعة المرضية للامام السالمي ص ١٨٤ ـ الاباضية في موكب التاريخ ص ١٤٩ ج ١
(٢) نشأة الحركة الاباضية ص ٨٩.
(٣) السير ورقة ٦١ ـ ٣ ـ السير ابو زكريا ص ٣٠ ـ اللمعة المرضية للسالمي ص ١٨٤ .
(٤) نشأة الحركة الاباضية ص ٨٩ .

الأمر الأول : مسند الربيع بن حبيب ، حيث وصل إلينا وهو يضم الأحاديث النبوية التي رويت عن الإمام جابر إبن زيد ، وهو من اقدم كتب الحديث واصدقها رواية .

الأمر الثاني : المتأمل في رسائل الإمام جابر يجد انها تكشف عن فقيه كبير حريص على تسجيل فقهه وتقديم اسانيده والشاهد على ذلك انه رأى يوما احد تلامذته يكتب شيئا اثناء الدرس فنهاه ان يكتب شيئا غير آية محكمة أو سنة متبعة، اما رأيه فلا عبرة به لأنه قد يجد في المساء حجة اقوى من التي يستند إليها في الصباح، فيرجع عنه إلى مايثبت بالدليل الأقوى خوفا من أن يذهب الطالب بما كتب ينشر الباطل في الناس [1] وهذا ما لايريده الإمام جابر ـ رضي الله عنه ـ

والجامع الصحيح لمسند الإمام الربيع بن حبيب من اصح كتب الحديث سندا واعلاها إسناداً وأرقاها مستنداً كمايصفه شارحه وهو العلامة نور الدين السالمي ـ رحمه الله ـ حيث يقول «فما احق منه ان يوصف بالعزيز، وما أجدر سنده ان يدعى بسلاسل الابريز لشهرة رجاله بالفقه الواسع، والعلم النافع، والورع الكامل، والفضل الشامل، والعدل والامانة، والضبط والصيانة». [2] .

---

(١) الاباضية في موكب التاريخ الحلقة الاولى راجع ص ١٤٥ ـ ١٤٦ .
(٢) شرح الجامع الصحيح الجزء الاول ص ٢ .

والإمام الربيع بن حبيب ـ صاحب المسند ـ قد رحل في صدر شبابه إلى البصرة ، حيث صحب ابا عبيدة فتعلم عليه وأخذ عنه ، كما أخذ عن كثيرين من علماء البصرة وقد رجع إلى عمان في أخريات أيامه [(١)] . . .
وقد ادرك الربيع جابر بن زيد لكنه أخذ القليل من علمه حتى قيل «ماقل ماحمل عنه واكثر ماحمل من العلم عن ضمام عن جابر . . » وكان الربيع يقول أخذت العلم عن ثلاثة أبى عبيدة وأبى نوح وضمام [(٢)]

وكان الربيع معروفا بالتقوى والورع ، ومما يشهد لذلك ان اناسا من أهل البصرة قالوا : انظروا لنا رجلاً ورعا قريب الاسناد حتى نكتب عنه فنظروا فلم يجدوا غير الربيع ، فطلبوا منه ذلك وكان يروي لهم عن ضمام او عن أبى عبيدة عن جابر بن زيد عن ابن عباس ـ رضي الله عنهم ـ [(٣)]

ويتبين من ذلك ان الربيع كان يعيش في أواخر القرن الأول الهجري، وطالت حياته إلى العقد الثامن من القرن الثاني الهجري، وقد ادرك وصاحب الكثير من كبار التابعين ومن ثم فقد طالت صحبته لتلميذ جابر وهو أبو عبيدة مسلم بن ابي كريمة التميمي الذي توفى في ولاية ابى جعفر .

وأبو عبيدة قد تعلم العلوم وعلمها ورتب روايات الحديث واحكمها، وقيل ان ابا عبيدة ادرك من ادركه جابر بن زيد فروايته عن جابر رواية تابعي عن تابعي . [(٤)]

---

(١) الامام جابر بن زيد وآثاره في الدعوة من مؤلفاتنا ص ٥٣
(٢) شرح الجامع الصحيح للعلامة نور الدين السالمي ص ٤ .
(٣) المرجع السابق ص ٥ .
(٤) ازالة الوعثاء للشيخ/ سالم بن حمود السيابي ص ٤٠ ـ ٤١ .

وهكذا نجد ان رواية الربيع انما جاءت عن طريق أبي عبيدة الذي روى عن شيخه جابر بن زيد. . وإن كانت قد وردت احاديث قد رواها أبو عبيدة عن آخرين غير جابر فتلك قلة قليلة لكن معظم ماورد في المسند هو رواية جابر بن زيد عن أحد الصحابة [1]

وعلى ذلك فدور جابر بن زيد هو دور الرواية الثقة، الذي حفظ الأحاديث ونقلها في امانة الرجل الورع التقى، والفقيه الحريص الحكيم .

ويضم المسند هذا مايزيد على سبعمائة حديث من الأحاديث الصحيحة الثابتة عن رسول الله ﷺ باسانيدها الموثوق بها، ولهذا المسند سبقه. . فقد أوردت كتب الأحاديث الأخرى اكثر ماتضمنه المسند من الأحاديث بروايات واسانيد أخرى مما أكد الثقة في مسند الربيع وروايته عن جابر بن زيد .

وقد ذكر ائمة الحديث أن رتب الصحيح تتفاوت الاوصاف المقتضية التصحيح ، وأن من المرتبة العليا ما أطلق عليه بعض رجال الحديث انه أصح الاسانيد الثلاثة ، كسند الامام الربيع بن حبيب، وثلاثياته ابو عبيدة عن جابر بن زيد عن ابن عباس، ورجال هذه السلسلة الربيعية من أوثق الرجال واحفظهم وأصدقهم، لم يشب إحاديثها شائبة أنكار ولاإنقطاع او اعضال، لان الثلاثيات باجمعها موصولة باتصال إسنادها، ولم يسقط من اسانيدها الثلاثية أحد [2]

ويسمى هذا الاسناد بسلسلة الذهب لان مثل هذه الاسانيد قصيرة

---

(١) جابر بن زيد واثاره في الدعوة ص ٥٤ .

(٢) عز الدين التنوخي من مقدمته لشرح مسند الربيع ص ٥ بتصرف .

السند وقريبة الاتصال بالينبوع المحمدي، واشتهر رجالها بقوة الحفظ والضبط وكمال الصدق والصيانه والامانه [١] ويشبه سلسلة سند الامام الربيع سند الزهرى عن سالم بن عبدالله بن عمر عن أبيه وسند مالك عن نافع بن عمر وهو قول البخاري [٢]

وعلى ذلك فإن ثلاثيات الربيع بن حبيب الازدي واحاديثها مسندة من أصح الأحاديث رواية واعلاها سنداً ، ورجال سلسلة الثلاثية حلقات هم كما ذكرنا، أبو عبيدة التميمي، وجابر بن زيد الازدي، وبحر الأمة وترجمان القرآن عبدالله بن عباس، شيخ جابر بن زيد وغيره من الصحابه، وهم باجمعهم مشهورون بالحفظ والضبط والامانة.

اما مسند الربيع فقد تداوله تلاميذه مخطوطاً، وتعددت نسخه، ولم يكن في أول الأمر مرتبا أو مصنفاً على نحو موضوعي، بل كان جامعا للأحاديث باسانيدها وتحرير نصوصها. .

وقد سخر الله عزوجل الامام ابا يعقوب يوسف بن إبراهيم السدراتي الوارجلاني من ارض وارجلان بأرض المغرب لإعادة ترتيب المسند المذكور على نحو منهجي جمع الاحاديث مرتبة حسب ابواب الفقه المعروفه على النحو الذي وصل الينا. [٣].

---

(١) المرجع السابق ص ٩
(٢) المرجع السابق ص ٥ بتصرف .
(٣) جابر بن زيد واثاره في الدعوة ص ٥٤-٥٥ .

ولقد قام العلامة الإمام نور الدين السالمي [1] ـ رحمه الله ـ فشرح من هذا المسند الأجزاء الثلاثة منه شرحاً نفيساً قيماً، حيث لم يتمكن ـ رضي الله عنه ـ من شرح الجزء الرابع إذ عاجله الأجل المحتوم. والأمر لله وحده.

وقد نشر هذا الشرح القيم بعدة طبعات بعد ان صححه وعلق عليه عضو المجمع العلمي بدمشق الاستاذ عز الدين التنوخى، اثابه الله جزاء ماقدمه للدين والعلم واللغة من يد بيضاء امينة.

اما فتاوى الامام جابر فهي كثيرة وعديدة، ليس المقام محلاً لسردها، وقد ذكرنا امثلة من تلك الفتاوي القيمة في كتابنا «الامام جابر بن زيد واثاره في الدعوة» .

اما بالنسبة لإقامة جابر بن زيد في عمان فلقد أوردت بعض الروايات انه ـ رضى الله عنه ـ كان قد أبعد في أخريات ايامه من البصرة إلى عمان، علما ان نشأته الأولى ـ كما بينا ـ انها كانت فيها، والروايات تجمع على انه عاد بعد فترة من إبعاده إلى البصرة ومات فيها.

---

(١) الإمام نور الدين السالمي ، هو عبدالله بن حميد السالمي. من كبار علماء عمان النبغاء المجددين، من علماء القرن الرابع عشر الهجري، إذ كانت وفاته ـ رحمه الله ـ سنة ألف وثلاثمائة واثنين وثلاثين هجرية ـ على صاحبها افضل الصلاة والسلام .

المبحث السادس
جابـر بن زيد في ذمة الله

تختلف المصادر حول تاريخ وفاته، حيث يذكر بعض الرواة انه تـوفى في نفس الاسبوع الذي توفي فيه الصحابي الجليـل انس بن مـالك ـ رضى الله عنه ـ وقد توفي الأخير عام ثلاث وتسعين هجـريـة [1] ويرى البعض الأخر انه توفي عام مائة وثلاث هجريـة أو في عام مائـة وأربـع هجـريـة بينما يحدد الشماخـي ـ رحمه الله ـ تاريخ وفـاته في عـام سـتـة وتسعين هجرية [2].

والذي يظهر أن وفاته كانت حوالي عـام ثـلاثـة وتسعين هجـريـة، لان اغلب الرواة حـددوا ذلك التـاريـخ فضـلاً على انـه جـاء على السنـة رواة الحديث الذين يهتمون إلى حد كبير بحياة كل محدث وتاريخ وفاته، وكـان جابر أحد هؤلاء المحدثين. [3]

وتذكر كتب التاريخ انه لما حضرت جـابـر بن زيـد الـوفـاة أتـاه ثـابت البناني. وقال : يا ابا الشعثاء هـل تشتهى شيئـا ؟ قـال : اني لااشتهى إلا ان ألقى الحسن قبل ان أموت قـال : فخـرج ثـابت البنـاني فـدخـل على الحسن البصري فأعلمه بقول جابر بن زيد ، قال : وكـان الحسن اذ ذاك

---

(١) الجامع الصحيح لمسند الامام الربيع ج ١ ص ١٠٢

(٢) السير للشماخي ص ٧٧ .

(٣) نشأة الحركة الاباضية ص ١٠٢ .

مستخفيا فقال : كيف لي بذلك؟ قال إركب بغلتي على السرج وانا أردف خلفك ؟ واعطيك طيلساني، وأرجو أن لايعرض لنا . قال : ففعل، ودخل على أبى الشعثاء وهو مضطجع فانكب عليه الحسن وهو يقول يا ابا الشعثاء قل لااله إلا الله، فرفع جابر عينيه فقال : أعوذ بالله، من غدو أو رواح إلى النار فقال: له الحسن : يا ابا الشعثاء قل لاإله إلا الله ، قال فقال: اعوذ بالله من غدو او رواح الى النار. ثم قال يا ابا سعيد «يوم يأتى بعض آيات ربك لاينفع نفسا إيمانها لم تكن أمنت من قبل أوكسبت في ايمانها خيراً» [1] قال فقال الحسن «هذا والله الفقيه العالم» ثم قال : يا أبا سعيد حدثني بحديث ترويه عن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: قال رسول الله ﷺ : «إن المؤمن إذا حضرته الوفاة وجد على كبده برداً» فقال جابر: الله أكبر، والله اني لأجد برداً على كبدي [2] . ثم صعدت الروح إلى بارئها، إلى مستقر رحمته، إلى الحياة السرمدية الخالدة التي لايفنى دوامها. ولاينقطع نعيمها.

ويروى انه لمّا مات جابر بن زيد بلغ موته انس بن مالك [3] فقال: «مات اعلم من على ظهر الأرض، أو قال : مات خير أهل الأرض» [4]

وقد ذكر صاحب كتاب طبقات المشايخ أبو العباس: «أنه لما مات جابر بن زيد اتى قتادة وهو إذ ذاك قد عمي ـ أى قتادة وقال ادنوني من قبره قال: فادنوه حتى وضع يده على قبره ، ثم قال : اليوم مات عالم العرب. » [5] تلك صور مشرقة من حياة الامام جابر بن زيد ـ رحمه الله ـ بدأً من نشأته وحتى ان لقي ربه وهي تجسد حياة العلم والعمل والتقوى والقدوة والأسوة.

---

(١) سورة الانعام أية ١٥٨ .

(٢) الدرجيني ص ٢٠٦ طبقات المشايخ ج ٢ ص ٢٠٧ ـ العقود الفضية ص ١٠٠

(٣) وهذا الكلام يؤيد أن وفاة الإمام جابر كانت عام ثلاثة وتسعين هجرية، لأن الصحابي الجليل أنس بن مالك رضي الله عنه كانت وفاته أي في نفس العام ونفس الأسبوع ولكنها كانت بعد وفاة الإمام جابر فلينظر في ذلك

(٤) الاباضية في موكب التاريخ الحلقة الأولى ص ٢٠٥ .

(٥) طبقات المشايخ لابي العباسي الدرجيني ج ٢ ص ٢٠٩ .

وقد كان لتلك الحياة ـ كما أشرنا من قبل الى جانبها العلمي تمثل فيما روى من حديث وما أدى من إجتهاد، وما قام به من دعوة من أجل تبصير الناس بأمور دينهم ودنياهم وإنقاذهم مما تردوا فيه من عقائد فاسدة وافكار دخيله، فرضها الجور والسلطة.

فكان له ـ رحمه الله ـ جهود جبارة من إظهار ماانطمس من أسس العقيدة الاسلامية الصحيحة، وابعاد ما التبس بها من معتقدات باطلة ما انزل الله بهامن سلطان.

وبجهوده هذه، وإخلاصه في دعوته حقق ذلك الفوز العظيم الذي كان جل همه تاركا نصب عينيه ـ رضي الله عنه ـ انه لاسعادة للبشرية إلا في استقامتها على منهج الله والسير على هدى نبيه ـ ﷺ ـ فهو كما عرف عنه ـ عند اتباعه وغيرهم ـ لاينتحل بدعوته تواضعا يغذى به جوعا إلى العظمة في نفسه. بل هو يؤكد مواقفه جميعها باعتبارها حقائق إسلامية تشكل مسئولية تبليغها وإعلانها كجزء من جوهر رسالته العظمى، إنها دعوة الله «ومن أحسن قولا ، ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال انني من المسلمين » [1]

لقد عاش ـ رضى الله عنه ـ وهو يستضيء ويضيء طريق الناس بنور القرآن الكريم ، ويحث الأمة على التمسك به بامتثال أمره وإجتناب نهيه قائلاً لهم «وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا» [2].

ولقد جمع الله له من رؤية الحق ومعرفة الحقيقة ، ورفعة النفس، وسلوك الطريقة ماشرقت به حياة اجيال تلو أجيال واضاءت به قلوب ملايين من البشرية «ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم» [3].

---

(١) سورة فصلت آية (٣٣)
(٢) سورة الحشر آية (٧)
(٣) سورة الجمعة آية (٤)



الفهـــــرس

